المحاضرة الثانية التمييز بين المنهج والمنهجية.

لمحة عابرة لنتاجات الفكر الانساني والفلسفة يظهر لنا مدى اختلاف المنهجية من شخص لآخر ، ومن مدرسة لأخرى ومن مذهب لمذهب اخر ، وكل هذا يعتمد على الواقع والزمان والمكان والمعرفة والتراث ، والانسان عندما يفكر بشيء ما او يحاول تحليل او تفسير شئ ما يعتمد في ذلك كله على تلك المنهجية التي تشكلت لديه ، ولهذا فالمنهجية ضرورية للفرد وللمجتمع لأنها الطريق الى الحقيقة وبها يستطيع الانسان بناء المعرفة.

ونحن عندما نريد أن ندرس شئ او ظاهرة او علم يجب ان ننتبه الى منهجية الشخص الذي بنا هذه الفكرة او من قام بتحليلها وتفسيرها لان قضية المنهجية في بعدها الفكري لا تنفصل عن الواقع والحياة، فغاية الفكر إقامة الحياة المثلى .، وإذا انعزل الفكر عن الحياة فإنه يفقد فاعليته وتتجاوزه الحياة، وكذلك الحياة إذا غايرت الفكر السليم ضلّت الطريق وسقطت في متاهات القيم والتصورات الخاطئة.

وأن الأزمة الفكرية التي تعاني الأمة منها، ما هي الا وجه من وجوه غياب المنهجية الفكرية، و هذه الأخيرة تبدأ بفوضى المصطلحات ، و غموض المفاهيم التي عبرت عنها كثير المسميات المتداخلة ، لذا رأينا من الواجب أن نبدأ بتبيان الخيط الأبيض من الأسود حول المنهج و المنهجية .

المنهج:

كما جاء في "لسان العرب": "طريق نهج": بَيِّن واضح، ومنهجُ الطريق: وَضَحُه، والمنهاج كالمنهج، وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة 48]، والمنهاج: الطريق الواضح، والنهج: الطريق المستقيم (انظر: لسان العرب، مادة (نهج)، ومختار الصحاح كذلك).

والمنهاج أيضًا جمْع منهج أو منهاج، وهو لغةً: الطريق الواضح، كما في "مختار الصحاح"، ومنه نهج الطريق بمعنى أبانَه وأَوْضَحه وسلكه.

واستنادًا على ما سَبَق من معانٍ لغوية لمعنى "نهج" في المعاجم يَستخدم العلماء المعاصرون مصطلحَ المنهج، فقد عرَّفه بعضهم بأنه: "الطريق المؤدِّي إلى الكَشْف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفةٍ من القواعد العامة التي تُهَيْمِن على سَيْر العقل، وتُحدِّد عملياتِه، حتى يصلَ إلى نتيجة معلومة"[1].

ويشار إليه بأنَّه: "الأصول التي تتبع لدراسة أي جهاز من الأجهزة اللّغوية" [2]، ومن التعريفات أيضًا: أنَّه "التنظيمُ الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إمَّا من أجْل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا، أو مِن أجْل البرهنة على حقيقةٍ لا يعرفها الآخرون".

ويُلاحظ على التعريفات السابقة: أنَّها تكاد تكون متقاربةً، إن لم تكن متطابقةً، اللهمَّ إلاّ ما يمكن الإشارة إليه من أنّ بعضها يجعل البحث العلمي هدفه ومبتغاه، والبعض الآخر فيه عمومية تجعل التعريفَ يشتمل على أكثرَ من مجال في البحْث، كالبحث الأدبي واللغوي والتاريخي، والبحث في الإنسانيات بما تشتمل عليه مِن فروع.

على أنَّه مِنَ المفيد أن نذكر أنَّ تعريفًا مما سبق – وهو الأخير تحديدًا – يشير إلى أنَّ هناك اتجاهين للمناهج من حيث الهدف:

أحدهما: يكشف عن الحقيقة، ويُسمَّى منهج الاختراع.

وآخرهما: يبرهن أو يُعدِّل من مفاهيم سائدة، ويُسمى منهج التصنيف[3].

ومع أنَّ المنهج فيما سَبَق، وبناءً على ما ورد مِن معناه في معاجم اللغة يعني أو يُشتمُّ منه، أو يفيد معنى "الخطة" المعروفة لدى الباحثين عندَ التخطيط لبحوثهم، إلاَّ أنَّ هناك فرقًا جوهريًّا يجب الإشارة إليه هنا، وهو أنَّ المنهج في مجال الدراسات الأكاديمية يعني: الوسيلة أو الآلة التي بها يقوم الباحِث على دراسة موضوعِه، وتحليل مادته العِلميَّة وَفْقَ أسلوب يُعنى على ذلك من قبل المنهج الفني، أو النفسي، أو التاريخي، أو الإقليمي، أو الاجتماعي... إلى آخرِ تلك المناهج المعروفة في مجال الدِّراسات النقديَّة، وبذلك يكون التمييز واضحًا بين الخطَّة والمنهج مع ما بينهما من تقارب.

و المنهج هو البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة, أوهو مجموعة قواعد يتبعها الباحث في إعداد بحثه، أو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم. ولجميع الدراسات على اختلاف مناهجها, فهناك:منهج للتعلم، ومنهج للقراءة، ومنهج للتربية، ومنهج للآثار، ومنهج للعلوم التطبيقية، ومنهج في الطب (علاجي ـــ وقائي), ...

ت ـــ منهج البحث العلمي:

يتكون هذا الاصطلاح من ثلاث كلمات هي:

كلمة منهج, وكلمة بحث, وكلمة العلمي.

– أما كلمة منهج: فهي مصدر بمعنى طريق, سلوك. وهي مشتقة من الفعل نهج بمعنى طرق، أو سلك، أو اتبع.

– أما كلمة البحث: فهي مصدر بمعنى الطلب, التقصي..، وهي مشتقة من الفعل: بحث بمعنى طلب، أو تقصى، أو فتش، أو تتبع، أو تمرس، أو سأل، أو حاول، أو اكتشف..

ومن هنا فكلمة منهج البحث تعني: القانون أو المبدأ أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية وفي أي مجال.

ومناهج البحث متعددة, ومتجددة طبقاً لتعدد أنواع العلوم, و تجددها. وهي تشترك جميعها بخطوات وقواعد عامة تشكل الإطار الذي يسلكه الباحث في بحثه, أو دراسته العلمية, أو تقييمه العلمي لأي حقيقة علمية.

– أما كلمة العلمي لغة: فهي كلمة منسوبة إلى العلم, وهي بمعنى المعرفة, والدراية، وإدراك الحقائق. والعلم يعني الإحاطة والإلمام بالأشياء، والمعرفة بكل ما يتصل بها, بقصد إذاعتها بين الناس وقد عرض الباحثون تعريفات شتى للبحث العلمي، وهم

في كل تعريف يصدر الواحد منهم عن منظور خاص، وتصور شخصي يصعب معه الشمول، كما نرى بعضهم حدد معنى البحث على أساس ميدانه:

ـــ فالبحث في العلوم التجريبية له تعريف محدد.

ـــ والبحث الأدبي له منحى معين.

ـــ والبحث الديني قد يكون له مفهوم يختلف عنها جميعاً.

وعلى ضوء ذلك يمكننا تعريف منهج البحث العلمي بشكل عام بأنه:

ـــ" التقصي المنظم باتباع أساليب ومناهج علمية تحدد الحقائق العلمية بقصد التأكد من صحتها أو تعديلها أو إضافة الجديد إليها ".

ـــ أو هو:" الطريق أو الأسلوب الذي يسلكه الباحث العلمي في تقصيه للحقائق العلمية في أي فرع من فروع المعرفة, و في أي ميدان من ميادين العلوم النظرية و العملية ".

ـــ وبتعبير آخر هو: " سبيل تقصي الحقائق العلمية، وإذاعتها بين الناس " فالبحث العلمي يستند أصلاً إلى منهج ثابت ومحدد، تحكمه خطوات، تشكل قواعد, وأصولاً يجب التقيد بها من قبل الباحث ويعتمد البحث العلمي على المناهج المختلفة تبعاً لموضوع البحث، والمنهج العلمي هو الدراية الفكرية الواعية التي تطبق في مختلف العلوم تبعاً لاختلاف موضوعات هذه العلوم، وهو قسم من أقسام المنطق وليس المنهج سوى خطوات منظمة يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها إلى أن يصل إلى نتيجة معينة، وبهذا يكون في مأمن من اعتقاد الخطأ صواباً أو الصواب خطأ.

الحاجة إلى معرفة منهج البحث:

كل باحث بحاجة إلى معرفة الأصول العامة في كتابة الأبحاث (منهج البحث) وذلك للأسباب التالية:

أ ـــ لأن اتباع الطرق البحثية التي خلُص إليها العلماء يزيد من جمال البحث، ويظهر حسن عرضه.

ب ـــ يساعد القارئ على تصور أبعاد البحث وتفريعاته، وبذلك يسهل عليه فهمه.

ت ـــ يساعد الباحثين المبتدئين على الارتقاء بأبحاثهم.

ث ـــ يوحد خطوات البحث بين الباحثين، دون المساس بالمضامين العلمية أو النتائج التي يتوصلون إليها.

أما المنهجية فيُعنى بها:

اتباع مجموعة من المعايير والتقنيات والوسائل قَبْل البحث، وفي أثنائه"، ولمزيد من التوضيح والدلالة على الفَرْق بين المنهج والمنهجية، نورد هنا ما ذَكَره د. إميل يعقوب بقوله: "ونميل إلى التمييز بين المنهج والمنهجية؛ استنادًا إلى الاعتبارات التالية[4]:

1. أنّ "المناهج" وصْف لأعمال العلماء المتقدِّمين، وطرائق بحوثهم وأساليبهم، ومصطلحاتهم في العلوم، والبحْث العلمي سابقة للمناهج، أما "المنهجيَّة" فمجموعةُ معايير وتقنيات ووسائل يجب اتِّباعها قبلَ البحث وفي أثنائه.

2. أنَّ المنهجية، كالمنهج، وصفيَّة؛ لأنَّها تبيِّن كيف يقوم الباحثون بأبحاثهم، لكنَّها تختلف عنه في أنها معيارية في الوقت نفسه؛ لأنَّها تقدِّم للباحث مجموعةَ الوسائل والتقنيات الواجب اتباعُها.

3. أنَّ مناهِجَ الدِّراسة تختلف من علم إلى آخَرَ، فللأدب مناهجه، وكذلك للغة، وللتاريخ، والبيولوجيا، والرِّياضيات، أما المنهجية فواحدة عمومًا.

4. أنَّ المناهج تُطرْح عادة للنقد والتقويم، فيفصل ما لها وما عليها، وأيها أوْلى بالاتِّباع، وما المنهج المناسب من الدِّراسات، أما المنهجية، فمعاييرُ وتقنياتٌ يجب التزامها لتوفير الجهد، وعدم إضاعة الوقت، وتسديد الخُطى على الطريق العلمي الصحيح.

5. أنَّ المناهج مرتبطة بالمنطق وطرق الاستدلال والاستنتاج، ولذلك فهي تتطوَّر وتتعدَّل من حين لآخر، أما المنهجية فأضحتْ – عمومًا – جملة قواعد ثابتة[5].

هوامش و مراجع المحاضرة :

1 _ عبدالرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي ،ط3، وكالة المطبوعات ، 1977 الكويت . ص 5.

2 _ حسان تمام، اللّغة بين المعيارية والوصفية، ط1 ، المطبعة الأنجلو مصرية،مصر، 1975ص 191.

3 _ محمد زيان عمر ، البحث العلمي مناهجه وتقنيناته: ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1974، ص 48.

4 _ إميل يعقوب ، كيف تكتب بحثًا: ، الطبعة الثانية ، جروس برس ، لبنان ،2016 م،ص10-11.

5 _ المرجع السابق:ص11.